دراسة الشخصية الروائية عند مرزاق بقطاش بتوظيف المقياس النوعي لفليب هامون

د. مهدية ساهل (أستاذة محاضرة ب)
قسم اللغة العربية آدابها
جامعة الجزائر2

تمهيد:

كنا في بحث سابق* قد بدءنا دراسة موضوع الشخصية الروائية وطريقة تقديمها عند مرزاق بقطاش مستعنين بالمقياس الأول الذي اقترحه "فليب هامون" ** وهو المقياس الكمي، كما استعنا بمفهوم التناص الذاتي *** الذي وضعه "لوسيان دلينباخ" وفي ما يلي نكمل هذه الدراسة باستخدام المقياس الثاني لفليب هامون (المقياس النوعي).

توظيف المقياس النوعي لدراسة الشخصية الروائية:

السارد في روايات م. بقطاش:

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا المقياس يمكننا من التحرر من هيمنة الكم على بناء الشخصية، و سيتم توظيفه من أجل التعرف على الطريقة الرائجة التي يلجأ إليها "م. بقطاش" لتقديم شخصياته وعالمه الروائي عموما، ومن أجل ذلك سنعود إلى الجدول الخاص بأوصاف الشخصيات (المظهرية والجسدية والمعنوية) وسيتم التركيز على السارد باعتباره مصدر المعلومات المقدمة عن الشخصيات، وعن العالم الروائي عموما:

. جدول خاص بمصدر المعلومات المقدمة في روايات "م. بقطاش":

الرواية	مصدر المعلومة	تعليق
طيور في الظهيرة	السارد	. السارد أجنبي عن الحكاية . الرواية مروية بضمير الغائب . السارد هو مصدر المعلومات كلها
البزاة	السارد	. السارد أجنبي عن الحكاية . الرواية مروية بضمير الغائب . السارد هو مصدر المعلومات كلها
عزوز الكابران	المعلم	. السارد شخصية من شخصيات الرواية . الرواية مروية بضمير المتكلم . السارد هو المصدر الأساسي لمعظم المعلومات
خويا دحمان	دحمان	. السارد شخصية من شخصيات الرواية . الرواية مونولوجية يخاطب فيها السارد نفسه. . يتولى السارد تقديم كل المعلومات
دم الغزال	مرزاق بقطاش	. السارد شخصية من شخصيات الرواية . الرواية مروية بضمير المتكلم . السارد هو مصدر المعلومات كله
يحدث ما لا يحدث	السارد	. السارد شخصية من شخصيات الرواية . الرواية مروية بضمير المتكلم . السارد هو مصدر كل المعلومات

إنّ أول ما يلفت انتباهنا هو سيطرة الطريقة غير المباشرة على التقديم في روايات "م. بقطاش"، فغالبا ما يكون السارد هو مصدر المعلومات الخاصة بتقديم الشخصية و كذلك سرد الأحداث، و هي نتيجة طبيعية لهيمنة السارد المسيطر على السرد برمته بما في ذلك عالم الشخصيات:

. ففي "طيور في الظهيرة" و"البزاة" يلجأ الروائي إلى توظيف سارد أجنبي عن الحكاية يتم من خلاله تقديم الشخصيات و سرد الأحداث، إذ يتم التركيز على شخصية الطفل "مراد" التي يقدم السارد من خلالها عالم الشخصيات و كذلك أحداث الرواية، والملاحظ في هذه الرواية و في "البزاة" حضورا كثيفا للسارد، إذ لا يلجأ

إلى التخفي أو التمويه على القارئ، بل يقدم الوصف الخارجي و الداخلي للشخصيات، مع التركيز على العالم الداخلي لشخصية "مراد" وما تصطرع به نفسه من هواجس وأفكار و أحاسيس كما تبدو هيمنة السارد على الأحداث التي يتصرف في تسريبها، إذ يتدخل مثلا لاستباق الأحداث و إعطاء فكرة عما سيؤول إليه مصير شخصية معينة، ويتولى أيضا تقديم الجانب المظهري، وصفات الشخصيات المعنوية الخاصة بأصدقاء "مراد" وكذلك بباقي الشخصيات (العساكر الفرنسيين الأوربيين الذين يسكنون الحي) حال ظهورهم في ساحة الأحداث، ويلاحظ عدم التركيز على وصف المحيط العائلي لمراد،إذ لا نجد أي اهتمام بالجانب المظهري أو النفسي لشخصية الأم التي تبقى مبهمة وغامضة فالنزر اليسير الذي يعطى عنها نستخلصه من الأحداث، ولا يخرج عن نطاق الأمومة و الخوف على ابنها "مراد".

و في "البزاة" نجد مقطعا يزود القارئ بمعلومة نستشف منها جانبا بسيطا من التكوين النفسي لهذه الشخصية. [1]

أما بالنسبة لشخصية والد "مراد" فإن السارد يزودنا ببعض المعلومات المظهرية عنها، بالإضافة إلى ما يقدمه لنا من خلال الأحداث عن طبائع و مزاج هذه الشخصية، كعملها الفدائي وحبها للاستماع إلى القنوات العربية. وبخصوص مظهرها فلا نعرف منه سوى البيريه الذي يضعه على رأسه و القبقاب الخشبي الذي يلبسه و بعض عاداته في السفر، كحبه للكسكسي.[2]

أما بالنسبة لمحيط "مراد" فيتولى السارد أيضا وصفه بدقة متناهية، حيث يسهب في أنواع الأشجار التي تنمو في الغابة التي يلعب فيها "مراد"و المنبسط الذي يرتاده هو وصديقه "محمد الصغير".

ومنه فإن السارد في "طيور في الظهيرة و"البزاة"، هو سارد مهيمن يسيطر على العالم الخارجي والداخلي للشخصيات و على محيطها.

أما بالنسبة لباقي الروايات فإنها تشترك في كون ساردها شخصية من شخصيات الرواية.

. السارد في عزوز الكابران:

سارد الرواية هو شخصية من شخصياتها، وهو "المعلم" الذي يتولى تقديم الشخصيات و كذلك رواية الأحداث، إذ نلاحظ في هذه الرواية حضورا مكثفا للسارد على مستوى تقديم الجانب المظهري، وطبائع و أمزجة الشخصيات وانشغالاتها.

يتخذ المعلم موقع العين الراصدة، حيث يلتقط كل جزئية من جزئيات الشخصية، و يتعرض كثيرا لمظاهرها الخارجية، أما خفاياها فتقل نوعا ما إذ يحاول السارد التخفي من خلال المسافة التي يجعلها بينه وبين الشخصية الموصوفة، و من خلال تركيزه على ظاهر الشخصية الموصوفة دون النفاذ إلى خباياها إلا في بعض الأحيان.

و سنحاول تتبع عمل السارد من خلال تقديمه لشخصية "عزوز الكابران" التي يسهب في وصفها المظهري، مركزا على مظهرها و محيطها و طبائعها و أمزجتها، و بشكل واضح على عاهتها، كما يلجأ إلى أسلوب التدرج في تقديمها، والشيء ذاته يقوم به مع باقي الشخصيات و في أثناء ذلك يقدم أيضا بشكل تدريجي مسار الأحداث.

تقديم شخصية عزوز الكابران:

. يلجأ السارد في ذلك إلى اعتماد مبدأ التدرج حيث يبدأ في تقديمها في حالتها الأولى: حالة القوة والسيطرة، ثم يتدرج في تقديم بداية تحول تلك الحالة إلى أنّ يصل إلى النهاية المأساوية التي تصل إليها الشخصية.

. تقديم الشخصية في حالتها الأولى :

يعتمد في ذلك على التركيز على مظاهر الأبهة التي تحيا فيها هذه الشخصية من خلال وصف مظاهر البذخ التي تبدو من مظهره و كذلك من محيطه. [3]

. تقديم الشخصية في حالتها الثانية:

يقدم لنا "المعلم" صورة عن شخصية "عزوز الكابران" بعدما اكتشفت لجنة التحقيق جرائمه، حيث يتتبع السارد مسار تدهور حال هذه الشخصية إلى أن يقدمها لنا في حالتها الأخيرة، ويصاحب التحول في حالتها تحول في مسار الأحداث، حيث نلاحظ أنّ التحول الذي يصيب شخصية "عزوز الكابران" وأعوانه في ذواتها و صفاتها و علاقاتها مرتبط أشد الارتباط بالتحول على مستوى الأحداث، إذ تبدأ علامات التحول المظهري وكذلك السلوكي في الظهور على شخصية "عزوز الكابران" بمجرد بداية الإضراب، حيث يبدأ سلوكه في الاضطراب و تتغير علاقاته مع أعوانه فمثلا على المستوى المظهري يركز السارد على إبراز تأثير التحوّل الذي بدأ يزعزع حكمه، مبينا أثر ذلك في عينيه حيث يركز على صفة معينة وهي العيون الغائرة في محجريها، والعيون الفاحمة المخيفة كعلامة على الهلع الذي استبد بـ"عزوز الكابران" حال إنشاء لجنة التحقيق وشعوره بالخطر من انكشاف جرائمه وخيانته، وتزداد هذه الصفة في البروز كلما حدث تحول على مستوى الأحداث، وكلما أحرزت لجنة التحقيق نجاحا في مسارها، كما يركز على عاهته التي تساهم أيضا في إبراز التوتر الذي يشعر به "عزوز الكابران"، إذ تنتابه نوبات غضب تستيقظ على إثرها الشظايا المنغرزة في دماغه، وترتبط تلك النوبات بمسار الأحداث،إلى أن نصل إلى نهاية الأحداث حيث ينكشف سر"عزوز الكابران" وتعود تلك النوبات للظهور لتواكب الحدث التحولي في حكم"عزوز الكابران" الذي يواكبه على مستوى الشخصية تحول مظهري تسببه الشظايا المنغرزة في دماغه، لتخرج الشخصية من عالم الوعي إلى عالم اللاوعي (الجنون) وهذا ما يظهر من خلال مقاطع كثيرة في الرواية.[4]

والمبدأ نفسه يعتمده الروائي في تقديم شخصياته التي يرتبط تحولها بالتحول الحاصل على مستوى الأحداث، فنهاية حكم "عزوز الكابران" يواكب تحول جذري على مستوى الأحداث، و قدم هذا التحول بشكل تدريجي، إذ بدأ التحول يظهر على أعوانه و منهم "سعيد زوج نجوم" الذي فقد منصبه و خرج من البلدة مذموما عند انكشاف سر اغتصاب بنت الحلاق، ثم يليه التحول الذي حدث لشخصية مدير الجريدة وزوجته التي لقيت مصيرا يشابه مصير "عزوز الكابران" إلا أنّ هذا التحول على مستوى الشخصيات لا يتم التركيز عليه بالنسبة للشخصيات المعادية لنظام "عزوز الكابران" .

و منه نصل إلى وضع المخطط التالي، والذي يبرز التحول الذي حدث على مستوى شخصية "عزوز الكابران" باعتبارها الشخصية التي تمثل الطغيان والاستبداد والذي يواكبه تحول على مسار الأحداث:

حالة1: قوة + رفاهية + جاه ⟵ واستعباد أهل البلدة ⟵ إضراب

تحـول1

و إنشاء لجنة للتحقيق ⟵ رضوخ عزوز الكابران لطلبات لجنة التحقيق. ⟵

تحـول2

كشف سر اغتصاب الفتاة ⟵ إقالة سعيد زوج نجوم ومديرالجريدة من منصبهما +

تحـول3

اصابة زوجة مدير الجريدة بإنهيار عصبي ⟵ كشف سر غرق الأرملة ⟵ جنون عزوز الكابران

نهائي

حالة2: جنون + تسول + ضعف + شفقة ⟵ بداية عهد جديد بالنسبة لأهل البلدة **(الحرية)**.

هذا بالنسبة لمبدأ التحول الذي اعتمده الروائي في تقديم رواية "عزوز الكابران".

أما إذا عدنا إلى السارد فإن هذه الأحداث يرويها "المعلم" بعد حدوثها، ويتضح ذلك من خلال بعض الإستباقات التي نجدها في الرواية والتي توضح من جهة أخرى هيمنة هذا السارد وسيطرته على تقديم الشخصيات و كذلك مسار الأحداث، وهذا ما نكتشفه من خلال مقاطع سردية عديدة في الرواية. (5)

إن هذه الإستباقات تساعدنا على معرفة نهاية الأحداث، إذ تزودنا بمعلومات أولية ندرك من خلالها أنّ النهاية ستكون بانتصار الخير على الشر بالقضاء على "عزوز الكابران".

كما نستخلص منها الهيمنة الكلية للسارد الذي يحاول في الكثير من الأحيان التخفي والتمويه على القارئ، وذلك بتبرير سيطرته ومعرفته لكل التفاصيل الخفية و المتعلقة بالشخصيات، أو الخاصة بالأحداث ووصف

الأشياء، و هذا ما يبرز من خلال بعض المقاطع التي يخاطب السارد من خلالها القارئ ليبرر معرفته الشاملة لتفاصيل الحكاية. (6)

أما بالنسبة لتقديم شخصية السارد باعتباره شخصية من شخصيات الرواية فإنه يلجأ إلى التعريف بنفسه في بداية الرواية، كما يعلن عن موقعه في الرواية إذ يعلن أنه هو من سيتولى تقديم أحداث الحكاية. (7)

من خلال ما سبق نستخلص أن "م. بقطاش" وظف ساردا من داخل الحكاية لسرد أحداثها و تقديم شخصياتها،ومنه فقد لجأ إلى توظيف الأسلوب غير المباشر في تقديمه لعالم "عزوز الكابران" الروائي.

كما اعتمد في ذلك على مبدأ التحول التدريجي في تقديم الشخصيات، والذي يرتبط بتحول على مستوى الأحداث، إلى أن تصل الشخصيات إلى نهايتها متزامنة في ذلك مع سرد الأحداث.
والشيء ذاته لاحظناه بصفة جلية أكثر في "يحدث ما لا يحدث" التي تتناص كثيرا في طريقة تقديمها مع رواية "عزوز الكابران"،و ذلك على عدة مستويات:

التناص الذاتي بين رواية "يحدث ما لا يحدث" و"عزوز الكابران" :

1 . على مستوى السارد

إن أول ما نلاحظه هو تناص رواية "يحدث ما لا يحدث" مع رواية "عزوز الكابران" على مستوى السارد، حيث أنه في "يحدث ما لا يحدث" شخصية من شخصيات الرواية، كما أنه سارد مهيمن يتولى تقديم الشخصيات و الأحداث على اعتبار أن أحداث الحكاية قد حدثت والسارد يعيد حكايتها بعد وقوعها .
و منه يتضح سبب هيمنته على سرد أحداثها، إلا أن سلطته و معرفته تتعدى سرد الأحداث كما عايشها مع باقي الشخصيات، بل تتعدى إلى تقديم أدق التفاصيل عن الشخصيات وعن خفاياها وأيضا وصف الأشياء من جانب مظهرها الخارجي.
تجدر الإشارة إلى أن السارد يعلن عن موقعه في الحكاية كشخصية من شخصياتها، وفي السرد كسارد لأحداثها من خلال مقطع سردي يتحدث فيه عن صورة تذكارية والتي ينطلق من خلالها سرد حكاية كل فرد فيها.(8)

فمن خلال هذا المقطع نستخلص أن أحداث الرواية ستدور حول تقديم الشخصيات الموجودة في الصورة الملتقطة منذ اثنين و ثلاثين سنة، وأن السارد عمد إلى تقديم ما حدث لكل من في الصورة . و هو واحد ممن فيها . بعدما نزل الموت العنيف بأغلب الشخصيات الموجودة فيها، وبالأخص ما حدث له بالذات، إذ تغيرت نظرته لتلك الصورة بعدما تغير مصير من كان فيها من الشخصيات وعلى أساس ذلك وانطلاقا

من التجربة التي حدثت له سيتولى تقديم حكاية كل واحد من هؤلاء وهم زملاؤه أيام الدراسة، كما تضم شخصيتين بارزتين باعتبار تأثيرهما الشديد على كل من في الصورة، وهما (شخصية الشيخ الجليل، وشخصية مدير المدرسة) حيث يعتبران المنبع الأساسي لهؤلاء و يبدو تأثيرهما في كل الشخصيات مما يؤثر في مجرى الأحداث.

كما أنّ هذا المقطع . بالإضافة إلى إعلانه عن السارد الذي سيتولى سرد الأحداث . يحمل استباقا يعلن عن النهاية المأساوية التي ستؤول إليها معظم الشخصيات بصفة عامة، ونهاية الشخصية الساردة بصفة خاصة، إذ يطلعنا مسبقا بما سيحدث له حيث يعرف القارئ قبل نهاية الرواية أن السارد قد أوشك على الهلاك، و نتعرف أكثر على تفاصيل الحكاية من خلال سير الأحداث .

بالنسبة لهيمنة هذه الشخصية على سرد الأحداث و تقديم الشخصيات، فإنها تتضح أكثر في عدم اكتفائها بتقديم الوصف المظهري للأشياء وللشخصيات، وتتعدى تلك السلطة إلى وصف خبايا الشخصيات و جوانبها النفسية، وكذلك علمها بتفاصيل الأحداث، إلا أنّ سارد هذه الحكاية لا يلجأ إلى تبرير معرفته و سلطته تلك مثلما هو الحال في "عزوز الكابران".

إذن فسلطة السارد و معرفته الكلية تتضح من خلال ما يقدمه من معلومات عن كل شخصيات الرواية، وكذلك من خلال تواجده في الأماكن التي تتواجد فيها الشخصيات، و كمثال على ذلك ما يقدمه من معلومات عن خفايا الشخصيات و منها:

. شخصية "الهادي":حيث يتواجد السارد مع الشخصية حتى في أماكن خلوتها، و يقدم لنا معلومات عما يصطرع في نفسها، بل يقدم لنا حتى ما تشعر به من آلام نفسية و جسدية لم تصرح بها لأحد [9]

. شخصية "يونس":

تتضح معرفة السارد بخبايا هذه الشخصية من خلال المعلومات التي يقدمها عنها، و منها ما يرد في عدة مقاطع في الرواية [10]

. شخصية "أرزقي":

بالنسبة لهذه الشخصية فإن السارد يركز أكثر على جانبها الخارجي أما بالنسبة للجانب النفسي والخاص بها فلا نكاد نعثر على ذلك إلا في بعض المقاطع.(11)

هذه هي الشخصيات المركز على وصفها الخارجي، و تقديم معلومات عن طبائعها و أمزجتها، ثم الوقوف على تقديم معلومات عن جوانبها الخفية و وصف محيطها وعلاقاتها معه.

والملاحظ أنه لا يتم التركيز على وصف شخصية السارد أو تقديم معلومات عنها ماعدا ما يقدم في البداية حيث نستخلص منه أنه واحد ممن كان في الصورة، و أنه سيحكي حكاية النخبة التي كانت معه في

الصورة، ولاقت مصيرا مأساويا، كما أنه يشترك مع هؤلاء في المصير ذاته وهو التعرض للموت العنيف، إلا أنّ الفرق بينه و بينهم يكمن في أنه نجا من الموت.

و بالتالي فإن هذه الرواية تلتقي مع "عزوز الكابران" في هذه النقطة، حيث أنّ "المعلم" أيضا و هو سارد الرواية لا يقدم وصفه الخارجي و جوانبه النفسية الخفية بل يقدم نفسه كسارد و يحدد موقعه في الأحداث، و الشيء ذاته يفعله سارد رواية "يحدث ما لا يحدث".

كما نلاحظ أيضا تشابها في عدم اختيار اسم لسارد هاتين الروايتين فالأول ينسب إلى مهنته، أما الثاني فلا نجد له أسما يميزه عن باقي الشخصيات، وإذا كانا يتشبهان في عدة نقاط، فأنهما يختلفان في كون الأول يستمر تقديمه من خلال مشاركته في مسار الأحداث، وعلاقاته بباقي الشخصيات إلى نهاية الرواية، أما الثاني فإن تقديمه يتوقف في القسم الأول "مقام الروح" ليتولى في باقي الأقسام تقديم قصة زملائه الذين كانوا في الصورة دون أن يكون طرفا فيما يقدمه.

تلتقي الروايتان أيضا في كون الأحداث المروية قد حدثت، و السارد يرويها بعد حدوثها، وهذا ما يوسع من هيمنته و سيطرته على مجال السرد، ويبرر توظيف الإستباقات، فالسارد يعرف ما ستؤول إليه حياة كل من في الصورة، والشيء ذاته بالنسبة "للمعلم" الذي كان يعرف ما ستؤول إليه نهاية "عزوز الكابران" و أعوانه، إلا أن الفرق بين الروايتين هو أنّ الاستباق في رواية "عزوز الكابران" كان محتشما ولم يوظف بصورة جلية، وهذا عكس ما لاحظناه في "يحدث ما لا يحدث" خصوصا في جزئها الأول "مقام الروح" حيث يتزامن تقديم الشخصيات في حالتها الأولى أيام الدراسة كمرحلة أولى والتي تمثل حياة السعادة، ويليها تقديم لمحة سريعة وموجزة عن مصير الشخصيات والتي تمثل المرحلة الثانية(مرحلة الحزن و الشقاء).

و هذا ما يتضح من الإستباقات الكثيرة الواردة في القسم الأول "مقام الروح". [12]

ومنه نستطيع تتبع حالة التحول – المتزامنة مع تحول على مستوى الأحداث – التي اعتمد عليها الروائي لتقديم شخصياته الروائية.

2 . على مستوى توظيف مبدأ التحول التدريجي في تقديم الشخصيات والأحداث:

من خلال ما سبق نلاحظ أن كل الشخصيات خضعت لمبدأ التحول في تقديمها، حيث يتم التحول بالتدريج إلى أنّ يصل الروائي بالشخصية إلى نهايتها، و الشيء ذاته لاحظناه في رواية "عزوز الكابران" مع

فارق واحد هو أن الشخصيات التي تم التركيز على إبراز التحول الذي مسها في رواية "عزوز الكابران" هي الشخصيات التي تمثل الظلم والاستبداد كإحالة إلى ما يجب أن يكون، أي أنّ النهاية المنطقية للطغيان هي الزوال والاندثار مهما كانت قوته وسلطانه، أما في "يحدث ما لا يحدث" فإنه تم التركيز على التحول الذي حصل للشخصيات الخيّرة، و التي وصلت في معظمها إلى حالة مأساوية، و يتماهى ذلك مع ما حدث في الواقع.

ومنه فإن ما حدث لهذه الشخصيات هو الذي حدث في الواقع، وفيه إحالة إلى الأزمة التي يعانيها الإنسان بصفة عامة، و المثقف بصفة خاصة في بلد من بلدان العالم الثالث.

و فيما يلي سنحاول إبراز هذه الطريقة التي اعتمدها الروائي في "يحدث ما لا يحدث" بربطها بالتحول الحاصل على مستوى الأحداث إلى أن تصل الشخصيات إلى نهايتها و التي تمثل نهاية الأحداث التي تعكس شراسة الأوضاع المتردية التي تتصارع معها الشخصيات، وبقاء الأحوال على حالها على مستوى المجتمع الذي تحيا فيه، ولتسهيل العملية سنحاول إبراز التحول الحاصل للشخصيات مع تحديد السبب الكامن وراءه بالاستعانة بالجدول التالي:

جدول التحول الحاصل للشخصيات و المتسبب فيه :

	الحالة الأولى	الحالة الثانية	سبب التحول

التحول / و سببه / الشخصية	(السعادة)	(الحزن و الشقاء)	
الشيخ الجليل	. مجرة (معلم محبوب من تلاميذه + موجه لهم)	. التقلص و الانكماش (موت)	. الزلزال
مدير المدرسة	. مجرة (حامي المدرسة)	. التقلص و الانكماش (موت)	. التهميش
السارد	. كوكب	. تغوّر (النجاة من موت)	. موجة العنف
السعيد	. كوكب (تلميذ) . قائد طائرة البوينغ	. تغوّر (موت)	. موجة العنف و الفساد (أصحاب اللحى الكثة و أصحاب القبعات)
الهادي	. كوكب . فيلسوف	. تغوّر (فجع في ابنه علي)	. موجة العنف
يونس	. كوكب . مهندس	. تغوّر (جنون)	. الزلزال
أرزقي	. كوكب	. تغوّر (سجن)	. الفساد

من خلال هذا الجدول بإمكاننا أن نضع المسار الذي اتخذته كل الشخصيات حسب الأحداث التي شاركت فيها :

. الشيخ الجليل :

الحالة$_1$: معلم محبوب + واسع العلم ⟵ الوقوع في يد المستعمر الفرنسي ⟵

تحول$_1$

سجن + مرض ⟵ الإفراج عنه ⟵ العودة إلى التعليم

الحالة2: الزلزال ⟵ تحول 2 موت

. مدير المدرسة :

الحالة 1: حامي المدرسة +أناقة + حيوية ⟵ الصراع مع المستعمر الفرنسي ⟵ مواصلة النضال بعد الإستقلال ⟵ دخول البلاد

في أزمة ⟵ تهميش+ الإنعزال ⟵ الحالة 2 : موت

. السارد:

الحالة1:كوكب(من الطلبة النجباء) ⟵ الإستعمار ⟵ الإستقلال ⟵ موجة عنف ⟵ التعرض لمحاولة قتل ⟵ إصابة جسدية و فقد الصوت لمدة معينة ⟵ الحالة 2: النجاة.

. السعيد :

الحالة 1: كوكب (تلميذ) ⟵ قائد طائرة البوينغ موجة عنف + فساد الوقوع في فخ أصحاب اللحى الكثة تغير مظهري + الخروج في مظاهرات استغلال أصحاب القبعات وضعه ⟵ تلفيق تهمة خطيرة له ⟵ السجن + إطلاق الرصاص عليه ⟵ الحالة 2: الموت.

. الهادي: الحالة 1: كوكب وتلميذ نجيب يتحول إلى فيلسوف ثم يتعرض لضربة على رأسه من المستعمر الفرنسي ويغتال ابنه علي ليتحول الهادي إلى إنسان حزين ومنعزل ويفر إلى البحر

الحالة 2: انطواء.

. يونس :

الحالة 1: كوكب من التلاميذ النجباء يتحول الى ومعماري بارع ثم يتحول الى العرافة لخوفه من الزلزال ثم الاصابة بالجنون

الحالة 2 : الشفاء والعودة إلى مسؤولياته.

. أرزقي:

الحالة 1: كوكب (تلميذ) ⟵ محاسب نزيه في البنك يتهم باختلاس ويصاب بالسكري

الحالة 2 : سجن.

و منه نستخلص أن:

. التحول مكون أساسي متحكم في بناء الشخصية التي تميل إلى التحوّل تبعا للتغيرات التي تطرأ على الأحداث في السرد، إذ يظهر التحول كطريقة لقياس التأثيرات التي تمارسها الأحداث على بنية الشخصية،و التي توضح العلاقة التحكمية بين تحول البنية الحكائية للأحداث، وبين تحول الشخصيات، وهذا ما وصلنا إليه من خلال استقصاء مظاهر التحول في شخصية "عزوز الكابران" كذلك أعوانه، ثم في شخصيات "يحدث ما لا يحدث".

. يعتمد "م. بقطاش" في هاتين الروايتين نموذج الشخصية المتحولة، وغير القارة تبعا لتحول البنية الحكائية للأحداث .

. يتم تقديم الشخصيات في الروايتين بالانتقال من العام إلى الخاص، و من المظهر الخارجي إلى باطن الشخصية، والتركيز على العلاقات التي تعقدها مع غيرها من الشخصيات، وهذه الظاهرة تتضح أكثر في رواية "يحدث ما لا يحدث" حيث يعطينا لمحة موجزة عن الشخصيات ليتم التفصيل في تقديمها ضمن سلسلة الأحداث التي تؤثر فيها.

. وظف الروائي في الروايتين ساردا من نوع (المتماثل حكائي) [**] لسرد أحداث واقعة قبلا، حيث يكون السارد في وضع استرجاع للأحداث، كما يكون في موقع المهيمن على عملية السرد، إذ يتولى تقديم الشخصيات وما يطرأ عليها من تحول نتيجة تحول و تغير الأحداث.

. و بمأن الأحداث المسرودة وقعت قبلا و السارد في وضعية استذكارها فإننا نجد توظيفا معتبرا للإستباقات.

التناص الذاتي، بين روايتي " خويا دحمان" و "دم الغزال":

بالنسبة لهاتين الروايتين فإنهما يلتقيان مع روايتي"عزوز الكابران" و "يحدث ما لا يحدث" في كون السارد شخصية من شخصيات الرواية، وهو سارد مهيمن على السرد، إذ يتولى تقديم سرد الأحداث من موضع العالم بكل شيء، و يتفقان معهما أيضا في كون الأحداث المروية وقعت قبلا والسارد يقوم باستذكارها، إلا أنهما يختلفان عنهما في عدم التركيز على مبدأ التحول لتقديم الشخصية، وذلك لأن الاهتمام فيهما كان منصبا على تسجيل الأحداث التي عرفتها الجزائر منذ الاستعمار إلى الاستقلال من خلال شخصية السارد، وهذه الظاهرة تتضح أكثر في رواية "دم الغزال" حيث نلاحظ توظيف أسلوب السير الذاتية، فالرواية تحكي ما حدث للروائي "م.بقطاش" إثر محاولة اغتياله، وتبدأ الرواية من حادثة اغتيال "بوضياف" و الأزمة التي عرفتها الجزائر.

بالنسبة للتناص بين "خويا دحمان" و "دم الغزال" سيتم معالجته من خلال التركيز على نوع السارد وسلطته في الروايتين، و الاهتمام بالأحداث بدل التركيز على تقديم الشخصيات، و ذلك لأن السارد هو المهيمن على العملية السردية، كما أنّ الأحداث المسرودة مرتبطة بحياته الخاصة.

ففي "خويا دحمان" تقدم لنا الأحداث من خلال شخصية "دحمان" الذي يستذكر حياته في اليوم الذي ينتظر فيه عودة ابنه إلى الوطن، إذ يسترسل في استعادة ذكرياته، و الأحداث التي عايشها مستغلا وضعية الاستذكار تلك للتركيز على الأحداث التي عرفتها البلاد منذ الاستعمار الذي عايشه في صغره، ثم التحولات السياسية التي عرفتها البلاد بعد الاستقلال، مركزا على هذه المرحلة و ما حدث فيها من مآسي، إذ يغلب على هذه الرواية أسلوب التصوير الواقعي للأحداث وتبدو الشخصيات مجرد وسيلة للاسترسال في معالجة الوقائع السياسية و إبداء الآراء فيها، ومن ذلك ما رأيناه بخصوص الأنظمة السياسية التي عرفتها الجزائر، محاولا نقد هذه الأنظمة والفترات التاريخية مبديا ايجابياتها وسلبياتها ووجهة رأيه فيها.

وإذا عدنا إلى الشخصيات: فإننا نلاحظ أن الروائي لم يركز كثيرا عليها بقدر ما ركز على شخصية "دحمان"، و بعض الشخصيات المحيطة به كوالده، وأخته حنيفة ثم ابنه، فالسارد لا يهتم كثيرا بوصف الجانب المظهري للشخصيات، ولا يركز على جوانبها النفسية الخفية، والشيء ذاته بالنسبة لرواية "دم الغزال" التي يبدو فيها الروائي متأثرا بالحادثة التي تعرض لها، و التي تسببت فيها الأوضاع المتردية التي آلت إليها الجزائر في فترة العشرية السوداء، و لذلك فإن التركيز يكون على تصوير الوقائع المأساوية التي حدثت في الجزائر، دون الاهتمام كثيرا بالجانب التخييلي إذ تمت معالجة الأحداث بطريقة السير الذاتية.

ومنه فإن هاتين الروايتين تلتقيان في الاهتمام بتصوير الأحداث و إهمال الشخصيات، و خصوصا في "دم الغزال" حيث لا يتم التركيز على تقديم الشخصية إلا في قسم "منطقة الأنبياء" عند تقديم شخصية متخيلة (شخصية الفنان) إذ تم التركيز نوعا ما على تقديم جوانبها المظهرية والنفسية وتصوير علاقتها مع محيطها، إلا أن السارد يصرح أن هذه الشخصية يتخذها مطية لمعالجة موضوع الموت .

الخلاصة:

مما سبق نخلص إلى أنّ الإستعانة بالمقياس النوعي مكننا من الوصول إلى النتائج التالية:

. سيطرة الطريقة غير المباشرة على التقديم في روايات "م. بقطاش" فالسارد هو من يمدنا بالمعلومات حول الشخصية و سير الأحداث.

. توظيف الروائي للطريقة ذاتها في تقديم عالمه الروائي في روايتي (عزوز الكابران و يحدث ما لا يحدث) و ذلك باعتماد طريقة التدرج في تقديم الشخصيات (من العام إلى الخاص)، و ارتباط الشخصيات بالأحداث حيث أن التحول الذي يطرأ على الأحداث في السرد يؤدي إلى تحول على مستوى الشخصية، و إن كان التركيز في رواية "عزوز الكابران" على التحول في الشخصيات الشريرة يحيلنا إلى انتصار الخير على الشر، فإنه في "يحدث ما لا يحدث" يلجأ إلى تصوير الجانب الآخر وهو تأثير الشخصيات الشريرة على الشخصيات الخيّرة التي تحاول القضاء على الشر في مجتمعاتها و تنهزم في معركتها مع الشر، كإحالة إلى استفحاله و قوته التي لا يستهان بها، و بهذا يكون الروائي قد تمكن من معالجة الصراع بين الخير و الشر من جانبيه :

1. في عزوز الكابران: التركيز على التحول الذي تحدثه الشخصيات الخيّرة في الشخصيات الشريرة

2 . في يحدث ما لا يحدث: التركيز على التحول الذي تحدثه الشخصيات الشريرة في الشخصيات الخيّرة.

و منه فإن دورة الصراع بين الخير و الشر تكتمل بين الروايتين فالصراع بين الخير و الشر صراع أبدي و أزلي، كما أنه سجالي.

. بالنسبة "لخويا دحمان" و "دم الغزال" فقد لاحظنا تكرارا على مستوى الاهتمام بالأحداث على حساب الشخصية، إذ كان تقديم الشخصيات شحيحا في الروايتين حيث لاحظنا بعض الإهتمام بالشخصية في "خويا دحمان" ثم تناقص بشكل واضح في "دم الغزال"، فإذا كانت أحداث الرواية في "خويا دحمان" تركز على شخصية "دحمان"، التي تتخذ كوسيلة لمعالجة الأوضاع المتردية في البلاد دون الإهتمام كثيرا بهذه الشخصية وعلاقاتها بغيرها من الشخصيات، فإن الإهتمام بالشخصية يكاد يكون منعدما في "دم الغزال" حيث يركز الروائي على شخصية السارد و تصوير بعض خفاياها النفسية إثر إصابتها بالرصاصة التي كادت أن تقضي عليها، فيما عدا ذلك فإن الجزء الأكبر من الرواية خصص لنقد الأوضاع المتردية التي تسببت في الحادثة التي تعرض لها السارد .

. إن توظيف المقياس النوعي – وكذلك توظيف المقياس الكمي في الدراسة السابقة – قد سمح لنا بالوقوف على العديد من الجوانب البارزة في كتابات "مرزاق بقطاش" الروائية، إلا أنه ليس بإمكانه الإلمام بجميع هذه الجوانب الخاصة بعالمه الروائي ومنها التناص الذاتي الحاصل على مستوى بعض الأساليب المتكررة في تقديم بعض الشخصيات، والتي لم يتسن لنا الوقوف عندها من خلال المقياس الكمي الذي يعتمد على تراكم المعلومات المقدمة عن الشخصية، والكثير من الظواهر الأسلوبية المتكررة في روايات "مرزاق.بقطاش" والتي تحتاج إلى دراسة معمقة،و وقفة متأنية.

هوامش الدراسة:

(*) انظر مهدية ساهل تناص الشخصية الروائية عند مرزاق بقطاش. مجلة حوليات جامعة الجزائر.ع 18 ج2 جانفي2010 ص من 173 إلى187

(**) حاول "فليب هامون" وضع مقاييس منهجية لدراسة الشخصية وذلك في عدة كتب ذكرت في قائمة المراجع الموظفة في هذا المقال.

(***) التناص الذاتي هو نوع من أنواع التناص التي تحدث عنها "لوسيان دليلينباخ" حيث تقتصر الدراسة فيه على مايسمى"الارصاد". « Mise en abime »وتراعى فيه العلاقات القائمة بين نصوص الكاتب.

(1) رواية البزاة .الشركة الوطنية للنشر و التوزيع. الجزائر.1983 ص18

(2) المصدر نفسه ص.ص59 . 60 . 175.

(3) رواية عزوز الكابران.لافوميك . دار البعث . قسنطينة.1989.ص 12 . 16 . 17 . 20 . 47.

(4) المصدر نفسه ص.ص.237 . 238 . 239.

(5) المصدر نفسه ص.ص.6 . 44 . 46 . 47

(6) المصدر نفسه ص.48.16.

(7) المصدر نفسه ص6

(8) رواية يحدث ما لا يحدث. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر 2004. ص7

(9) المصدر نفسه. ص 90 . 94.

(10) المصدر نفسه ص.ص.137 . 142 . 144 . 159 . 175.

(11) المصدر نفسه ص.ص.199 . 208 . 212 . 222.

(12) المصدر نفسه ص.ص. 6 . 7 . 10 . 12 . 23 . 27 . 30 . 33 . 35 . 40.

(13) مصطلح "المتماثل حكائي" يعني : الحكاية التي تحكي على لسان إحدى الشخصيات إذ يمكن للكاتب : " أن يجعل الحكاية تحكى على لسان إحدى الشخصيات: إنه المحكي بضمير المتكلم، و يمكن أيضا أن يحكيها على لسان سارد أجنبي عن الحكاية: سيكون المحكي هنا بضمير الغائب ، النوع الأول يسمى المتماثل الحكائي «homodiegétique» و الثاني المتباين الحكائي « hétérodiegétique» "أنظر جيرار جنيت، من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى .الحوار الأكاديمي والجامعي.دار الخطابي للطباعة والنشر.ط1. 1989 ص 102 . 103 .

أهم مصادر ومراجع الدراسة:

1- المصادر:

روايات مرزاق بقطاش:

- طيور في الظهيرة.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.الجزائر 1981
- البزاة.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.الجزائر1983
- عزوز الكابران.لافوميك.دار البعث.قسنطينة1989

- خويا دحمان.دار القصبة للنشر.الجزائر2002
- دم الغزال.دار القصبة للنشر.الجزائر2002
- يحدث ما لا يحدث.دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.الجزائر2004

2- المراجع:

- بحراوي حسن. بنية الشكل الروائي.المركز الثقافي العربي.الدار البيضاء. ط1 . 1990
- بنكراد سعيد. شخصيات النص السردي البناء الثقافي.سلسلة دراسات وأبحاث1994.
- جنيت ومجموعة من المؤلفين.نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير. تر ناجي مصطفى.الحوار الأكاديمي والجامعي.دار الخطابي للطباعة والنشر ط1 1989.
- هامون فيليب.سميولوجية الشخصيات الروائية .تر سعيد بنكراد.دار الكلام للنشر والتوزيع الرباط 1990.
- يقطين سعيد: 1 – انفتاح النص الروائي.المركز الثقافي العربي.الدار البيضاء.بيروت ط1 1989

  2 – تحليل الخطاب الروائي.المركز الثقافي العربي بيروت.ط1 .1989.

- Genette. Gérard : palimpsestes.Ed du seuil 1982
- Hamon philippe.pour un statut sémiologique du personnage.poétique du réçit collection point ed du seuils.paris 1977